

## مسئولية الشعب

بقلم: عبد الرحمن الشرقاوي

الأخبار: 71-6-25

أنت لا تهدي من أحببت..

وما من حاكم في الدنيا يملك عصا سحرية يصلح بها شئون المحكومين.. ما من إنسان وحده يستطيع أن يهدم العالم لبينيه من جديد! ولكن الله يهدي من يشاء والشعب وحمده هو القادر على أن يصلح ما فسد من أمور دنياه.. أنت وأنا والآخرون أصحاب هذه الأرض التي نعيش عليها، نحن وحدنا نستطيع أن نعيد صياغة الحياة من جديد على النحو الذي نلحم به، لتكون أفضل مما هي وأكثر عطاء وتمنحنا ما نريده منها، ولتكون جديرة بأن نحياها حقاً وتحياها الأجيال القادمة!

ونحن وحدنا نستطيع أن نخلص دنيانا من كل الشوائب ونجعلها أرض الحب، والمواد، والجمال، والحق، والخير، والعدل، لنتيح الطعام لكل معدة، والثقافة لكل عقل، والإيمان لكل قلب.. لتعمر أعماق الإنسان بالكبرياء.. وبالثقة في أخيه الإنسان. والفرصة لا تسنح مرتين!.. فإن لم يغتتم أبناء الحقيقة ما ساقه الله إليهم من فرصة للخلاص فسيعود الباطل أكثر ضراوة مما كان!...

ولقد جاءت ثورة مايو فرصة لنعيد تشكيل الحياة محررة مطهرة، فهي مسئولية تاريخية أن نعمل النهار والليل، بكل الجسارة التي يجب أن يندفع بها الحق، لنحرر خطواتنا نحو المستقبل من الأغلال ولنظهر وجه الوطن من الشوائب. والحق واضح والباطل واضح.. ولكن أكثر الناس لا يقدمون...! ويك عنتر أقدم!!

وما من خطر أفدح من التردد في اللحظات الحاسمة، ما من شيء يهدر المسئولية في المواقف التاريخية مثل أن تنازل أولو العزم، أو يتهادنوا في معارك المصير.

أن ثورة مايو 1971 جاءت امتداداً طبيعياً لثورة يوليو 1952، وانتصاراً بها على الأخطاء وتصحيحاً لمسارها في مواجهة من حرفوا سيرتها وفي مواجهة تحديات العصر.

أن ثور مايو 1971 جاءت إضافة حتماً للضرورة وخلقتها الاحتياجات الشعبية وهي بعد إثراء التجربة.

وإذن، فتورة يوليه هي القاعدة والأساس... وتأتي ثورة مايو بعد ذلك لتكون انطلاقةً وتصحيحاً للمسار من هذه القاعدة.. انطلاقةً يستفيد من التجارب والأخطاء.. ليستكمل النقص ويرأب الصدع، ويدعم الكيان الثوري بكل ما يغني الحياة والمستقبل جميعاً، ويروي أشواق الجماهير التي كشفت عنها معاناة التجارب الطويلة.

والذين يريدون لثورة مايو غير ذلك.. يخشون الثورة بطاقات الانطلاق المتفجر منها ويخشون التصحيح معاً...

وهكذا يريدون في النهاية أن يحولوا ثورة مايو إلى نوع من أنواع الصراع العلوي..

يريدون أن يعزلوا هذا الصراع ويحصروه، لكي تتجمد الأوضاع على ما فيها من أخطاء وسلبيات كشفت عنها التجارب عبر السنين الماضية.

وهكذا يصلون آخر الأمر إلى أن يطلقوا الأبواب التي فتحتها الثورة، ويقطعوا الطريق على الشعب الزاحف في أمل هائل كالبشرى الرائعة ليصنع لنفسه وللأجيال القادمة عالماً جديداً من العدالة والإخاء والتكافؤ الحقيقي للفرص والطهارة والثورية الرائعة.. عالماً جديداً يحدد فيه العمل قدر الإنسان، ويمارس فيه القلب حلاوة الشعور بالطمأنينة والعزة والقدرة، وتمنح فيه الاشتراكية الحقيقية عطاءها السخي للحياة بما تستطيع أن تحققه سواعد الرجال... لكي يرفع كل مواطن رأسه في شموخ.. سعيداً بانتمائه إلى وطن حررته الإرادة الصامدة من الاحتلال الأجنبي، وحققت فيه الوحدة الوطنية أحلام البسطاء... لا.. لم تكن ثورة مايو صراعاً علوياً...

لم تكن ضربة أنزلها أنور السادات بخمسة أو عشرة أو عشرين من مراكز القوى تأمروا عليه أو على الوطن...

ولكنها كانت انتصاراً على تجمع للثورة المضادة التي شوهدت الاشتراكية وأهدرت تقاليد هذا الشعب وحاولت أن تسحق آماله، وانحرفت بمبادئ ثورة يوليه، ونشرت حالة من السلبية والذعر والسخط، والإحساس بعدم الانتماء للوطن، وحولت الشرفاء وسواد الشعب- من غير التابعين وتابعي التابعين واتباعهم- إلى مواطنين من الدرجة الثانية!..

كانت ثورة مايو انتصاراً على الثورة المضادة التي خلقت جواً من السخط المخيف لم يكن ينقصه لتتم الكارثة إلا أن تجمه قوى الإمبريالية العالمية والصهيونية

لنتفجره بطرقها فينسف كل ما هو جليل ورائع في هذا الوطن، وكل ما هو عزيز علينا في ماضيها وحاضرنا ومستقبلنا... وكل ما بنيناه بأيدينا في الليالي المضيئة بالأمل!!.. كانت ثورة مايو تعبيراً عن أشواق هذا الشعب ورفضه لأساليب القهر، واحتجابه الصامت على الظلم ورجاله الممزق في أن يأتي يوم يسود فيه الحق.. والحق وحده..

ولهذا ينتظر الشعب من ثورة مايو أن نحقق له الكثير.. وأن نحققه على الفور!. ولكن ما هي العناصر التي يريد منها الشعب أن نحقق له ما يريده وما ينتظره من ثورة مايو!!..

ينبغي أن يكون واضحاً أن ثورة مايو لا يملكها غير الشعب وحده... وهو من خلال الممارسة- هو وحده- الذي يستطيع أن يحقق لنفسه ما يريد... وأن يتخلص مما يعاني.

لا يوجد في ثورة مايو من يدعي أنه هو صاحب هذه الثورة، وهو الوصي عليها.. وهو الذي يستطيع أن يأخذ هذا ويدع ذلك، وأن يحقق هذا الشيء ولا يحقق ذلك الشيء.. أن أنور السادات قائد هذه الثورة يؤكد دائماً أنها ثورة الشعب بالشعب.. وللشعب وحده!..

فليس لثورة مايو مراكز قوى ويجب ألا توجد.. والشعب وحده هو الذي يستطيع أن يمنع قيام هذه المراكز التي تنشأ دائماً وفي كل ثورة عندما تتوافر لها الظروف، ولا تنشأ أبداً في أية ثورة عندما يتسلح الشعب بيقظته الثورية ويمارس حقوقه الديمقراطية ويؤمن أنه هو وحده صاحب الثورة وحاميها.. وأن الثورة هي طريقة ليستمتع بكل حقوقه...

أن ثورة مايو ليست ثورة إجراءات فرضتها سلطة حاكمة، ولكنها انتفاضة شعب بأسره.. أن كل ما جاءت به من مبادئ ليس إلا التعبير عن وجدان هذا الشعب وعن الضمانات التي تحمي كفاحه اليومي من أجل حياة أفضل..

وهذا الشعب ليس قوى هائلة في الأثير!. ولكنه طبقات وفئات عاملة محددة الملامح والمعالم والمصالح والخطوات..

أنه مجموع القوى العاملة من الفلاحين ولعمال والجنود والمتقنين الثوريين والرأسمالية الوطنية.. وهذه القوى لها مصالح متشابكة، ومتناقضة أحياناً.. وقد جاءت ثورة مايو تعبيراً عن هذا القدر المشترك من مصالح هذه القوى العاملة.. جاءت تعبيراً

عن جبهة عريضة تقود تحالف قوى الشعب العاملة. جبهة شعبية ثورية تريد أن تظهر مرحلة التحول الاشتراكي وتحررها من القيود التي تثقلها، وتريد أن تجعل الرقابة الشعبية على أعمال المسؤولين في الحكومة والمؤسسات العامة، هي الطريق إلى الارتفاع بمستوى الإنتاج وهي كل ضمانات العدالة، وهي وسيلة حماية التطور.. وتريد أن تكفل للمواطنين مساواة حقيقية وتكافؤ فرص حقيقياً ونريد أن نجعل الحرية والديمقراطية جناحين للانطلاق الثوري .. ونريد أن نجعل الشرعية قلعة للاشتراكية... ونريد أن نحقق الديمقراطية السياسية من خلال الديمقراطية الاجتماعية..

هذه الجبهة الشعبية الثورية هي صاحبة ثورة 23 يوليو وثورة مايو وحصنها الحصين، وهي القادرة على أن تتطرق بها في طريقها لتحقيق الثورة كل أهدافها.. وهي قادرة في كل مجالات العمل على أن تصفي الظروف التي سمحت بظهور مراكز قوى أكثر من مرة، لكيلا تظهر ومراكز قوى من بعد أبداً...

من أجل ذلك يجب أن نعمل هذه الجبهة الشعبية الثورية بكل طاقاتها، وأن تدفع المؤسسات والنقابات بممثلين يعبرون عن ثورتها وعن آمالها ومصالحها... ومصالحها التي هي مصالح الوطن: تحرير الأرض، وصيانة التحول الاشتراكي، وتطهير الحياة السياسية والحياة اليومية من صور الفساد والظلم والاستغلال.. تطهير لا يعتمد على الإجراءات الإدارية، وإنما تحققه الإرادة الشعبية من خلال الضمانات القانونية واحترام المواطن، ودقة الحساب وحسن الاختيار والانتخاب، في إطار الشرعية الاشتراكية.

أن مسئولية هذه الجبهة الشعبية الثورية تحدها الحقوق الديمقراطية وسيادة القانون والحرية التي لا ضمان غيرها لنمو مرحلة التحول الاشتراكي.. لتنهض مصر العربية مسئوليتها في مواجهة التحدي المستمر...

أن الفرصة متاحة- والفرصة لا تأتي مرتين- وقد علمتنا التجربة أن العبرة ليست بالشعارات بل العبرة بحركة الشعب وبالعامل نفسه وبالمضمون الذي تختبره المعاناة.

وهذا هو الجديد الذي جاءت به ثورة مايو...

وتحقيق مبادئ هذه الثورة واجب الشعب كله، وليس حقه فحسب..